الفصل السادس

تطوير لغة الخطاب الدينى ومحتواه

أولا: لغة الخطاب الدينى .

- **مفهوم لغة الخطاب الدينى .**
- **مقومات لغة الخطاب الدينى :.**

١- مقومات خاصة بلغة الخطاب ذاته .

٢- مقومات خاصة بتنظيم المضمون .

٣- مقومات خاصة بتحديد أساليب التأثير والإقناع وأهمها :.

- **استخدام الاستمالات العقلية والوجدانية .**
- **استخدام الجوانب النفسية للإقناع والاستمالة .**
- **البعد عن الترهيب والتخويف .**
- **استخدام أسلوب الاكتمال.**
- **استخدام أسلوب المناسبة.**
- **استخدام أسلوب التأكيد .**
- **وضوح لغة الخطاب الدينى .**
- **أسلوب الصدق .**
- **الاختيار الأمثل لاستراتيجيات توجيه الخطاب الدينى.**
- **أسلوب الاستعانة بمنطق الأحداث .**
- **أسلوب الإيجاز .**
- **أسلوب الدقة .**

obeikandl.com

- أسلوب البرامج الحية والبرامج الإيجابية .
- السؤال فى مجال الاتصال الدعوى .
- أسلوب التدرج .
- الخطاب وفقاً لطاقات الإنسان وقدراته .
- أساليب أخرى .

ثانيا : محتوى الخطاب الدينى:

- قضايا الخطاب الدينى.
- الأهداف الأساسية.

obeikandl.com

مفهوم تطوير لغة الخطاب الديني :-

حينما نعمل على إيصال معاني الإيمان إلى ملايين المسلمين وإلى حمل رسالة الإسلام لسائر أطراف الدنيا فنحن في حاجة إلى أن تكون لغة الخطاب الديني قادرة على التأثير وعلى نقل جوهر الإسلام بوضوح وبصورة تتوافق ومستويات الجماهير المختلفة .

ولذلك فإن لغة الخطاب الديني للداعية تعني القدرة على التعبير بسلاسة ووضوح ،والقدرة على استخدام أساليب الإقناع والتأثير على الغير للوصول إلى الجماهير التي نتوجه إليها.. وذلك في إطار الحديث الشريف "أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم" .

وكما يشير علماء الاتصال فإن نص الرسالة هو العنصر الأساسي الذي تنتقل بواسطته الأفكار والدعاوى إلى الجمهور ، وبهذا المضمون يتحقق الهدف من الاتصال . ويتضمن إعداد هذا النص ضرورة اتخاذ قرار هام هو اختيار وتحديد الاستمالات المختلفة للتأثير في الآخرين مثل استخدام الأدلة والبراهين والشواهد والنوازع النفسية والميول والرغبات ، الخ .. لنجعلهم يتقبلون ما نقدمه لهم من أفكار وآراء أو يقبلون على القيام بعمل معين أو لتكوين اتجاهات محددة[1] .

فلغة الخطاب الديني تعني تفضيلاً أو اختيارا ما من ضمن مجموعة من البدائل المتاحة للتعبير عن مضمون معين، ومن المفترض وجود طرق عديدة يمكن أن تستخدم في التعبير عن المعنى الواحد.. يختار الداعية من بينها ما يعتقد أنه أقدر على التعبير عن الفكرة التي يتناولها وأقدر على إحداث التأثير المطلوب .

ويجب أن يلاحظ أيضاً فى مجال لغة الخطاب الدينى أن هذه اللغة تختلف وفقاً للوسائل الاتصالية المستخدمة . فلكل وسيلة لغة خطاب مناسبة أو مقدرة استمالية تزيد أو تقل عن غيرها من الوسائل الأخرى ،كما تختلف وفقاً للقضايا ووفقاً لنوع الجمهور الذى تتوجه إليه .

لقد تطورت لغة الخطاب الإعلامى إلى درجة كبيرة من الخطورة والتأثير بحيث أصبحت قادرة على أن تزين الباطل وتجعله حقاً.. وتزرى بالحق لتجعله باطلاً.. فالإعلام يسحر عيون وأسماع وعقول الناس. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول "إن من البيان لسحرا. فبلاغة التعبير وامتلاك القدرة على استخدام وسائل التأثير تسحر الإنسان فلا يبصر الحق.. بل ويكاد يتصور الباطل حقاً صريحاً .

مع هذا التقدم لا نزال فى دعوتنا وإعلامنا الإسلامى نلقى الكلام على عواهنه دون أية دراية بمقتضى الحال حتى أصبح كل مقال يصلح لكل مقام وافتقدنا بذلك القدرة على التأثير على الرغم من أننا نمتلك من وسائل الإعلام من حيث مقدارها ونوعيتها وقدرتها على التأثير مالا يمتلكه أحد . لكن يبقى المطروح.. كيف يمكن أن نعيد لها الحياة والتأثير والقدرة على تطوير المجتمعات الإسلامية.

ولو أخذنا على سبيل المثال عدد منابر الجمعة فى بلدان العالم الإسلامى وخطبة الجمعة التى نسعى للاستماع إليها دون لغو أو انصراف كفرض من فروض الدين لأدركنا أهمية ما نمتلكه من وسائل .

وفى إطار التحديات التى تواجهها الدعوة الإسلامية لا خيار لنا من الاجتهاد للارتقاء بأساليب التأثير للغة الخطاب الإسلامى المعاصر وإلقاء الأضواء على بعض الشروط والمواصفات الفائقة لهذا الخطاب ،وتحديد الأساليب أو المقومات اللازمة للغة الخطاب الدينى ومن خلالها نشير إلى

السلبيات التى تشوب لغة الخطاب الإسلامى حالياً لدى بعض الدعاة والتى تحول بينه وبين تحقيق التأثير المنشود .

وعند الحديث عن لغة الخطاب الدعوى ينبغى أن نشير إلى ثلاث مجموعات من الاعتبارات الأساسية لإنجاح هذا الخطاب .

أولاً : المقومات الخاصة بلغة الخطاب ذاته :-

وهذه الاعتبارات تكاد تكون معروفة للدعاة لأنها تتعلق باستخدام الألفاظ والرموز التى يستطيع الجمهور فهمها.. وبالمقومات الفنية اللازمة لإعداد النص والتى تساعد على فاعليته والتى ينصح علماء اللغة بضرورة الالتزام بها . وتتضمن قواعد وضوابط اختيار الكلمات والجمل والفقوات وقد تعرضنا لها بالتفصيل فى كتابنا مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة[٢] .

ثانياً : المقومات المتعلقة بتنظيم لغة الخطاب الدينى :-

وتعنى القرارات التى يتخذها الداعية فى اختياره وترتيبه لكل من الرموز والمضمون.. والداعية يختار مضموناً يعتقد أنه سيفيد جمهوره.. ويهمل آخر.. يختار معلومات معينة ويهمل أخرى.. وقد يكرر الدليل الذى يثبت به رأياً.. وقد يلخص ما يقول فى البداية أو النهاية.. ويستطيع أن يقول كل الحقائق فى رسالته ، أو يترك للجمهور تكملة الجوانب التى لم يذكرها فى رسالته .

كما تعنى أيضاً ، الطريقة التى سيقدم بها رسالته.. خطبة كانت أم درساً أم مقالا أم حديثاً إذاعياً أم تليفزيونياً ،أو أى شكل آخر .

وفى كل الأحوال.. فهناك من حيث الترتيب ، معياران يمكن الاستعانة بهما فى مجال الترتيب وهما :-

• معيار الجاذبية :

ويعنى البدء بعرض الجوانب الأكثر جاذبيـــة أو تشـــويقاً ، ثم إيـــراد الجوانب الأخرى . وذلك لجذب انتباه المستقبل ، ودفعه إلى الاســـتماع أو القراءة والمشاهدة .

• معيار الأولوية أو الحداثة :

ويعنى أن النقاط التى تقدم أولاً تحظى باهتمام أكبر من تلك التى تليـــها فى العرض أو التقديم.. كما أن تقديم المعلومات الأحدث يكون أكثر فاعلية من البدء بالمعلومات الأقدم حدوثاً .

وفى هذا المجال يراعى الداعية :-

أ - إن الخطاب الدينى ينبغى أن يصمم بطريقة تمكن مـــن كســـب انتبـــاه المستقبل . ويضم ذلك عناصر التوقيت والبراهين والكلمات التى تشـد انتباه المستقبل .

ب- إن الخطاب يجب أن يثير الحاجات الشخصية للمستقبل ، مثل الحاجـة إلى الأمان أو إلى المكانة أو الانتماء أو الفهم أو الحب.. أو التحرر مـن القلق.. أى أنه يجب أن يخلق أو يثير لدى الجمهور اقتناعاً بأنه يحتـــاج إلى القيام بتصرف ما للخروج من حالة القلق أو لإشباع احتياجاته .

باختصار نستطيع أن نعرف معالجة نص الخطاب الدينى بأنها القـرارات التى يتخذها الداعية فى اختياره وترتيبه لكل من اللفظ والمضمون .

ثالثاً : المقومات الخاصة بزيادة مقدرة لغة الخطاب الدينى على الإقناع والتأثير :-

وهى مجموعة الأساليب التى يتفنن الداعية فى استخدامها عند إعداد النص الدعوى ، محاضرة كانت أم درساً أم مقالاً أم كتاباً أو أى شكل آخر يستخدمه من أشكال التعبير لضمان الوصول بدعوته إلى الجمهور وتحقيق التأثير المطلوب.. وهذه الأساليب عديدة ومن أهمها :-

١- استخدام الاستمالات العقلانية :-

وهى الاستمالات التى تعتمد على مخاطبة عقل المتلقى وتقديم الحجج والبراهين والشواهد المنطقية وتفنيد الآراء المضادة بعد مناقشتها وإظهار جوانبها المختلفة ونستخدم لذلك :-

- الاستشهاد بالمعلومات والأحداث الواقعية .
- تقديم الأرقام والإحصاءات .
- بناء النتائج على مقدمات .
- عرض وجهات النظر الأخرى[٣] .

والداعية باستخدامه لهذا الأسلوب يتسق مع لغة الخطاب القرآنى.. "فالقرآن يدعونا لاستخدام العقل وتنميته بالفكر والمعرفة والاجتهاد ليكون سلوكنا متفقاً مع العقل السليم.. وجاء ذكر العقل باسمه ومشتقاته فى القرآن الكريم نحو ٥٠ مرة وذكر أولى الألباب أى العقول أكثر من عشر مرات"[٤] .

فقد جعل القرآن الكريم الدليل والبرهان والمقارنة أساليب تخاطب العقل بقصد تأهيله إلى إدراك المعارف الموصلة إلى الله . يقول سبحانه وتعالى فى خطابه للعقل {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ

وَهِيَ رَمِيمٌ.. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} سورة يس آية ٧٨-٧٩ .

فإن القادر على الخلق الأول من عدم يكون أقدر على إعادة الخلق من موجود.. وهذا برهان قاطع يخاطب به العقل لإقناعه بالبعث .

كما قدم القرآن الكريم نماذج كثيرة للدعاة للدعوة إلى التأمل والنظر فى القوانين الكونية التى خلق الله العالم على مقتضاها قال تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} سورة إبراهيم آيه ٣٢ . وأيضاً قوله تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ} سورة آل عمران آية ١٩٠.

ومخالفة الكثير من الدعاة لهذا الأمر القرآنى فى لغة الخطاب وابتعادهم عن مخاطبة العقل بالأدلة الواضحة والبراهين والشواهد وغير ذلك فى عصر سمى بعصر المعلومات من السمات التى تؤثر على مسار الدعوة وموقف الناس منها وتجعلنا نقول إن لغة الخطاب الدينى لم تتمكن استيعاب حتى أقرب الناس إليها وهم جمهور المسجد.. ووجدنا من الدعاة من يناقش المشكلات على ضوء الخرافات ومن يتحدث عن السحر والدجل عند مناقشة قضايا الأمة فيسئ إلى الإسلام وعظمته ويزهد الناس فيه ويجعلهم يتوهمون أن حالهم أفضل مما يدّعون إليه .

٢- استخدام الاستمالات العاطفية :-

وتستهدف الاستمالات العاطفية للتأثير فى وجدان المتلقى وانفعالاته وإثارة حاجاته النفسية والاجتماعية ومخاطبة حواسه بما يحقق أهداف القائم بالاتصال[٦] أو الداعية .

وقد حفل القرآن بأمثلة كثيرة تخاطب الوجدان.. وقد جعله القرآن وسيلة فى خطابة لإرجاع النفس إلى فطرتها .

وبهذا الأسلوب القرآنى للدعوة المتصل بالوجدان والقلب أهمية كبرى فى بعث الأفراد والأمة العربية كلها بعثاً جديداً مكنها من أن تحتل تلك المكانة فى تاريخ الحضارة والعالم بعد نزول القرآن وظهور الإسلام[٧] . يقول تعالى فى خطابه للوجدان {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} سورة سبأ آية ٤٦ . فالخطاب تحريض واضح للضمير والوجدان ليحكم فى حقيقة النبى محمد صلى الله عليه وسلم والذى حالت الأهواء والمصالح دون الحكم الصحيح عليه.. وحيث أن حكم الضمير غالبا لا يحدث إلا بعد مراجعة الإنسان لنفسه أو لصديق يثق الإنسان بضميره ،أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يعظهم بأن يقول الإنسان فيما بينه وبين نفسه أو فيما بينه ومن يثق فيه للموازنة والبعد عن المصالح والأهواء للوصول إلى الحكم السديد .

وتتنوع الاستمالات العاطفية.. فنستخدم الشعارات والرموز وتستخدم الأساليب اللغوية والدلالات اللفظية وصيغ أفضل التفضيل.. والاستشهاد بالمصادر وعرض الرأى على أنه حقيقة واستخدام معانى

التوكيد وغريزة القطيع[٨] . وأيضاً أسلوب البرامج الإيجابية والتكـــرار .. الخ.

ويستخدم الداعية من الاستمالات العاطفية ما يتفق وطبيعة المضمـــون وطبيعة الجمهور والهدف المقصود وخاصة إذا كان الغرض استثارة عواطف الجمهور ومشاعره أو مواجهة الخصوم بالحشد العاطفى أو لإلغاء التأثيرات العاطفية المضادة .

وقد استخدم القرآن هذه الأساليب الكثيرة فى دعوة الناس إلى الإيمـان بالله الواحد وإلى دعوتهم إلى العمل الصالح والتمسك بأســـباب التقـوى والإخلاص لله بأداء العبادات .

ومن الأمثلة على ذلك ،مخاطبة وجدان الإنسان الجاحد وبيان حالـه فى موقف الرفاهية والضرر قال تعالى {وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًـــا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنـدَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّـــارِ} ســورة الزمر آية ٧ ، ٨ .

أما حال المؤمن الخاشع بقلبه ووجدانه {أَمَّنْ هُوَ قَـانِتٌ آنَـاء اللَّيْـلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَـــلْ يَسْـتَوِي الَّذِيـنَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} سورة الزمر آية ٩ .

وأيضاً قوله تعالى لتأجيج الوجدان وبيان ما حاق بالكافرين.. {كَذَّبَـتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ. إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍ. تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُـــذُرِ} سورة القمر آية ١٨-٢١ .

وفى مجال الدعم الوجدانى يقول القرآن {فاصبر لحكم ربك ولا تكـــن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم . لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ

بالعراء وهو مذموم . فاجتباه ربه فجعله من الصالحين} سورة القلم ٤٨-٥٠ .

كما عاب القرآن على الكافرين استخدام الأساليب العاطفية للتأثير على الجمهور من ذلك استخدام أسلوب القطيع فقال حكاية عن قوم فرعون {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} سورة الزخرف أية ٥٤، وقال فيهم {ويتبعون كل ناعق} . والنماذج فى القرآن والسنة لا تحصى وتحتاج إلى دراسة ، المهم هنا الإشارة إلى أهمية استخدام الداعية للاستمالات التى تخلق انفعالات معينة فى القلب وتحركه نحو الغاية المستهدفة .

وبقدر أهمية مخاطبة العقل من خلال تقديم الحقائق والمعلومات والأرقام والإحصاءات وتفنيد وجهات النظر الأخرى والبناء المنطقى للنص تكون أهمية استخدام الاستمالات العاطفية.. لأننا كدعاة نتوجه بالدعوة إلى المتعلمين والأميين والرجال والنساء والأطفال.. وبقضايا ومضامين متنوعة.. المهم وعى الداعية بالأسلوب الأمثل لتحقيق الهدف . فلكل موقف مناسبته وأهميته. وكما تألقت الغايات الكبرى فى القرآن والمثل العليا من خلال خطاب العقل تألفت أيضاً من خلال الخطاب الوجدانى .. وجاءت لغة هذا الخطاب على نحو معجز لا مثيل له فى تاريخ الدعوات التى شهدها البشرية ،لقد فتحت الأبواب على مصراعيها لينطلق الإنسان من أغلال الوثنية والقهر إلى الآفاق الرحبة لرحمة الله سبحانه وتعالى .

ولم يكتف القرآن بلغة الخطاب الفردى الوجدانى بل أكد على أهمية التكامل الوجدانى والنفسى بين جميع المسلمين تأكيد لصلة القلب بالقلب والعقل بالعقل والروح بالروح.. لتتحول الكثرة العددية الفردية ،والتى نجدها الآن تسود المسلمين عامة والدعاة إلى الله خاصة إلى روح المودة

والمحبة بين جميع أفراد المجتمع الإسلامى، قال تعالى {إنما المؤمنون أخوة} سورة الحجرات آية ١٠ . {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} سورة المائدة آية ٢ . {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} سورة العصر آية ٣ .

بل إن العبادات فى حد ذاتها دعوة للتكامل الوجدانى[٩] .حتى يتدرب جميع أفراد المجتمع الإسلامى على هذه الوحدة التكاملية.. فى الصلاة.. نجد جميع المسلمين فى لحظة واحدة وقت سماع الآذان يسرعون للصلاة فى صفوف منتظمة متراصة يتجهون وجهة واحدة.. ويرددون كلمات واحدة.. ويتحركون حركة واحدة.. مهما اختلفت الأماكن.. وهو نفس حال الصيام.. والحج أيضاً.. فعلى الرغم من قيام البعض بأداء واجب فريضة الحج كل عام.. إلا أننا نجد أن باقى أفراد الأمة الإسلامية يشاركونهم وجدانياً فى نفس اللحظة الاحتفال بالمناسبة تحت أسم الاحتفال بعيد الأضحى وينحرون الذبائح مثلهم . كما يشاركونهم بالصيام فى العشرة أيام السابقة على هذه اللحظة تأكيداً لهذه المشاركة النفسية .

وفى مواجهة التحديات التى تواجه الدعوة الإسلامية وأهمها كما ذكرنا التفرق والاختلاف وعدم الاتفاق ، ما أحرى الدعاة بالالتفات إلى فلسفة لغة الخطاب الإسلامى.. واستخدام أساليب هذه اللغة بوعى وبراعة ليس لمجرد الإبهار العقلى أو الانصياع النفسى والوجدانى وإنما لإحياء الروح الجماعية والعمل الجماعى ليتحقق التكامل الوجدانى بين جميع المسلمين فى كافة أمور الحياة سواء كان فى ميدان السلم أو الحرب والجهاد أو فى باقى الميادين .

كما أنهم أنفسهم فى حاجة إلى التكامل النفسى والوجدانى مع الجماهير قال تعالى {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} سورة

الكهف آية ٢٨. أى لا تفارق من تدعوهم ولا تبعدك عنهم ضرورات الحياة وكن معهم دائماً بالمساعدة والمعاونة .

وأيضاً نحن كدعاة فى حاجة نفسية للتكامل الوجدانى مع من يعملون مثلنا فى حقل الدعوة ومع من يعملون فى وسائل الإعلام الأخرى لأننا جميعاً أخوة كما وصفنا المولى عز وجل.. جميعاً أعضاء فى فريق متكامل فى الهدف والغاية والشعور بالانتماء لقيم واحدة.. ونحن كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

٣- الاستفادة من العوامل النفسية لضمان الإقناع والاستمالة:-

وهناك عوامل نفسية للإقناع والاستمالة لابد أن تكون فى اعتبارنا كدعاة ،باعتبارها الأساس لتحقيق أهداف الخطاب الإعلامى الإسلامى. فلا يكفى مراعاة الجوانب الخاصة بالخطاب المنطقى أو الوجدانى.. لتحقيق التوافق بين الداعية وجمهوره وإنما لابد من مراعاة الجوانب النفسية لتهيئة الجمهور للإقناع والاستمالة وأهمها :

- أن يخلو نص الخطاب الدينى من الدعاية والمبالغة والخطأ .
- تجنب الاستعلاء والكبرياء بالصورة التى تنفر الجمهور وتجعله يحجم عن المشاركة .
- تنظيم محتوى الخطاب من زاوية التتابع السليم والاستمرارية فى عرض الحقائق والتكامل المعرفى للخبرات التى تتضمنها .
- ارتباط الخطاب الدينى بالقيم السائدة والعادات والتقاليد التى تشكل عموميات الثقافة لأفراد المجتمع المسلم.. وذلك عند تقديم موضوعات تستهدف تدعيم ما لدى الجمهور من آراء واتجاهات .

- إن الرسائل التى تذكر أهدافها ونتائجها بوضوح ؛ أكثر قدرة على الإقناع من تلك التى تترك للجمهور فهم واستخلاص هذه الأهداف .
- إن الرسائل التى تقدم الحجج المؤيدة والمعارضة أكثر فاعلية من تلك التى تقدم جانباً واحداً فى تغير اتجاهات جمهور المثقفين .
- ضرورة تحديد الغرض من الخطاب الدينى ، ونوع التغيرات المراد إدخالها على سلوك الجمهور.. فإذا كان الخطاب الدينى يستهدف تدعيم قيم إيجابية فإن التأثير عن طريق استثارة العاطفة يفيد فى هذه الحالة .
- ومن ناحية الداعية نفسه يجب أن يكون مقتنعاً بالموضوع الذى يتحدث فيه ويلم بكافة جوانبه وأن تتسم اتجاهاته عموما نحوه بالايجابية [١٠].

أما من ناحية الجمهور فلابد للداعية فى خطابه له مراعاة :

- ارتباط المعلومات المقدمة باحتياجات الجمهور ، حتى يضمن استجابته .
- ارتباط الرسالة الإعلامية بالتصورات القائمة لدى الجمهور ، فالمستقبل يضع فى ذهنه قيماً تتعلق بتصوراته المختلفة.. فإذا استقبل مادة لا تتفق وهذه القيم أو تتنافر معها.. فإنها تواجه بمقاومة شديدة.. وقد يهملها تماماً أو يتجنبها أو يهاجم مصدرها.. أو يحرفها ويسئ فهمها ، وبالتالى لا تحقق التأثير المطلوب.. بخلاف المادة التى تتفق وتصورات المستقبل.. ويلاحظ بالنسبة للرسائل التى تقدم معلومات جديدة بالنسبة للمستقبل أنها لا تواجه بمقاومة شديدة ، بل يتقبلها وتساعده على تكوين رأى حيالها .

- مناسبة أسلوب الخطاب الديني لمستويات الجماهير الثقافية المختلفة، وأن تستعمل فيها العبارات والكلمات المألوفة للجمهور الذى تخاطبه . وأن تتناسب ومستويات الجمهور العقلية وآماله وطموحاته .
- يختلف تصميم الرسالة الإعلامية ومحتواها وفقاً لفئات الجمهور الذى تخاطبه.. فأسلوب مخاطبة جمهور المسجد فى خطبة الجمعة يختلف عن أسلوب الخطاب للجمهور فى محاضرة أو ندوة دينية فلكل مقام مقال .

وعلى آية حال فمن الضرورى للداعية لضمان حسن فهم الجمهور لرسالته وخاصة فى أشكال الاتصال التى تسمح بالحوار والمناقشة كالندوات والتدريس أن يتيح للجمهور الفرصة لشرح وجهات نظره وأن يناقش ،للتعرف منهم على مدى فهمهم للمعلومات المرسلة إليهم وللتأكد أيضاً من مدى الاستجابة .

فليس الهدف من الخطاب الدينى تقديم المعلومات وإنما ضمان التأثير والاستجابة .

٤- البعد عن المبالغة بالترهيب والتخويف :-

فالإسلام دين الرحمة ودين الترغيب والتبشير . وإذا كانت رحمة الله وثوابه تجاوزت فى الأسلوب القرآنى حدود الترهيب ،فقد كان ذلك من فضل الله العظيم على الإنسان لتظل روحه متفتحة بالأمل طامعة فى الرجاء.. قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} سورة الأنبياء آية ٩٠، وقال {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} صورة طه آية ٨٢ . وقال {إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ} سورة الحجر آية ٤٥، ٤٦ . وقال تعالى {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} سورة الزمر آية ٥٣ . وهو سبحانه القائل {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} سورة الأعراف آية ١٥٦ .

وإذا كان هذا هو الإسلام وهذه هى لغة الخطاب القرآنى.. فلماذا سدت أبواب التعبير أمام بعض من الدعاة.. ولم يجدوا سوى لغة الترهيب والتخويف والوعيد يقذفون بها فى وجه المسلمين الذين يستمعون إليهم فى المساجد وحلقات الدرس وعبر وسائل الإعلام المختلفة.. اعتقادا منهم أنهم بهذا سيقبلون على التدين وبالتالى على الدين، فلا يقدمون لهم من القرآن إلا آيات العذاب، ويتفننون فى وصف عذاب جهنم وعذاب القبر ويبدعون فى الحديث عن العذاب الأليم المهين.. وبين من يستمعون إليهم أطفال لم تتشكل وجداناتهم فيقدمون إليهم ربهم الكريم الذى وصف نفسه بالرحمة ووسع برحمته كل شئ على أنه رب جبار قهار.. يحب التعذيب فيملئون نفوسهم ونفوس المسلمين فزعاً وقلقاً ويحولون بينهم وبين السكينة والرضا.. وبينهم وبين العمل البناء الصالح الذى هو رسالة المسلمين فى الدنيا وطريقهم إلى السعادة فى الآخرة.. فالجمهور الخائف المرتعش لا يقدر على مواجهة تحديات الحياة ولا يقدر على الإبداع ولا يبنى حضارة طبقاً لأمر الله لنا {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} سورة هود آية ٦١ .

وباستخدام هذا الأسلوب فى الخطاب الإسلامى يخالف الدعاة أمر رسول الله صلى الله عيه وسلم عندما قال لسفيريه "يسرا ولا تعسرا..

وبشرا ولا تنفرا" وهو نفس ما أغضبه صلى الله عليه وسلم من معاذ يـــوم أطال فى الصلاة قائلا له : أفتان أنت يا معاذ .

وهناك أساليب أجدى من الترهيب والتخويف وأكثر فائدة وتأثـيرا فى الخطاب الدينى منها :-

- الرفق: فهو أساس المعاملة والداعية لا يكسب قلب المدعويـن إلا إذا عاملهم باللين {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا مـــن حولـك} سورة آل عمران آيه ١٥٩ .
- التشجيع : فهو عامل مهم لزيادة حماس المدعو واندفاعه للاســتجابة. وفى سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام الكثير من هذه المواقف ومنـها موقفه من صهيب حين قدم المدينة مهاجرا بعد أن تنازل عن ماله كلـه للمشركين ونجا بدينه منهم ،فقابله الرسول صلى الله عليه وسلم بقولـه "ربح صهيب. ربح صهيب" رواه الحاكم والطبرانى وأبو فى الحلية .

أسلوب الاكتمال :-

ويعنى أن يحتوى نص الخطاب الدينى على كل الحقائق والمعلومات الـتى يحتاج إليها الجمهور ليقوم برد الفعل الذى نتوقعه . ويجـب أن نـأخذ فى اعتبارنا كمية المعلومات المناسبة التى تكفى كل فـرد وتشـبع اهتمامـه واختلاف القدرات الذهنية لأفراد الجمهور.. واختلاف خلفياتهم وآرائـهم واتجاهاتهم وعواطفهم.

والاكتمال لنص الخطاب الدينى أمر ضرورى.. وذلك لعدة أسباب:-

١- إن الرسالة المكتملة توفر الغرض للحصول على النتائج المتوقعة .

٢- تساعد الرسالة المكتملة على تجنب القضايا والدعاوى الناتجـة عـن نقص المعلومات .

٣- تغنينا عن الاحتياج إلى رسائل أخرى مكملة لجوانب القصور فى الرسالة الأولى فتوفر بذلك وقتاً ومجهوداً إضافيين .

والاكتمال فى حد ذاته ليس كافياً للداعية للوصول إلى عقول وقلوب جماهيره ،لا يكفى أن يدرس الموضوع من جميع جوانبه حتى يتضمن النص الذى سيقدمه لجماهيره كل الحقائق والمعلومات.. بل لابد أيضاً من مراعاة مقتضى الحال.. فالقرآن الذى أنزله الله لهداية البشرية وتضمن أسس هذه الهداية.. تضمن أساليب مختلفة للدعوة.. وكل آية منه نزلت لتلبية احتياج معين.. أى تنزل وفقاً للمناسبات وللاحتياجات الفعلية للجمهور .

وواجب الدعاة فى الاقتداء بالقرآن يستوجب ضرورة موافقة احتياجات الناس الفعلية.. فالداعية لا يكتب أو يتحدث إلى نفسه وإنما لجمهور يحرص على أن يستقبل ما يكتبه أو يتحدث به.. ولهذا ينبغى أن يكون الجمهور فى عين الداعية وقلبه يتعرف على رغباته واهتماماته ومشاكله وآرائه واتجاهاته وردود الفعل المتوقعة منه وأن يبين له الفوائد العائدة عليه من التعرض لرسائله.. ضماناً لاجتذاب الجمهور وتحقيق الاستجابة المطلوبة.. وأن ندعم ذلك بالكلمات الإيجابية والمشجعة.. ونتجنب استخدام أساليب التخويف والتنفير والتيئيس واستخدام كلمات لا، ولا يمكن، وأبداً، وعرض الصور السلبية، كى لا ينفر منا، وذلك مثلما يفعل بعض الدعاة عندما يتحدثون فقط، عن النار والقبر وعذابه كما أشرنا سابقاً. ويكثرون من كلمة لا.. لا يدخل الجنة من يفعل كذا، ولا من يفعل كذا.. أو يكثرون من مدح الأسلاف.. وذم المعاصرين.. والتركيز على الهوة السحيقة بيننا وبينهم، وأننا لا يمكن أن نفعل فعلهم، أو نصل إلى ما وصلوا إليه.. فتكون النتيجة فقدان التأثير على القارئ .

أسلوب المناسبة:

وتتحقق المناسبة أيضاً من خلال التركيز على أنت ، بـــدلاً مـــن أنـــا ونحن.. فالقراء عادة مهتمون بأنفسهم أكثر من اهتمامهم بنا.. وينجذبـــون أكثر لمن يبدى اهتماماً بهم وبمشاكلهم .

وفى القرآن الكريم أمثلة كثيرة للخطاب المباشـــر لأهميتـــه فى إثـــارة الاهتمام قال تعالى {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} سورة الملك آية ١٦. وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} سورة المدثر آية ١-٥ .

وبهذا يتضح لنا أن هدف الخطاب الدينى ليس مجرد تقديم للمعلومـــات والمعارف والأنباء والبيانات والحقائق وحسب ،وإنما الغرض من كل هـــذه المعلومات أن تكون المعلومات ملبية لاحتياجات الجماهير . أى أن تكـــون مرتبطة بواقع الناس واحتياجاتهم.. فواقع الحال ينبئ أن النـــاس فى تلـــك البيئات لهم اهتمامات وأنشطة يمكن أن تكون متباينة.. وبالتالى فهذا التباين يوضح أن نمذجة الخطبة " تحديد موضوعات بعينها لجميع المساجد "يكـــاد يتعارض مع الواقع البيئى ولا يتفاعل معه بالشكل المطلوب مهما كـــانت قدرات الداعية.. أو الخطيب . وأن النمذجة تفقد الدعوة مصداقيتها وتحد من قدرتها على التفاعل والتأثير..[١١] ولابد من مراعاة المناسبة أو مقتضـــى الحال كما يقول العلماء .

أسلوب التأكيد :-

ويستخدمه الداعية فى خطابه لإبراز معانى معينة ، أو للتأكيد على معان محددة ذات دلالة . ويتحقق ذلك من خلال وسائل عديدة منها :-

١-الكلمات ذات المقاطع القليلة - أو التى تنتهى بأصوات حادة مثل : التاء والكاف والجيم.. كما فى قوله تعالى {وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ.. واليوم الموعود.. وشاهد ومشهود.. قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ} سورة البروج آية ١-٥ .

٢-استخدام الجناس ، لإعطاء الشعور بالقوة .

٣-اختلاف الإيقاع.. بوضع الجملة القصيرة بين عدة جمل طويلة.. فكسر الإيقاع يخلق الإحساس بالتأكيد .

٤-تغيير الترتيب الطبيعى للجملة من خلال التقديم والتأخير.. كأن يتقدم المفعول على الفاعل أو الفاعل على الفعل .

٥-استخدام كلمات مثل: قد، وإن .

وينبغى استخدام أساليب التوكيد بحذر ، ولتحقيق أهداف محددة ، وبصورة لا تعطى طابع التكلف.. أما الإفراط فى استخدامها وبدون هدف محدد فقد يؤدى بنا إلى المبالغة وإلى فقدان ثقة الجمهور وبالتالى عدم استجابته أو تفاعله[١٢] معنا .

وضوح لغة الخطاب الدينى :-

روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث كسردكم هذا.. يحدث الحديث . لو عده العاد لأحصاه" وروى أبو داود عن عائشة أيضاً قالت : "كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلاً يفهمه كل من سمعه" أى كان واضحاً .

والوضوح قاعدة أساسية للغة الخطاب الديني وهو نوعان :

أ - وضوح التعبير . ب- وضوح المضمون.

ويقصد بوضوح التعبير أو التركيب أن يوائم الداعية بين الفكرة والأسلوب حتى يفهمه القارئ أو المستمع.. أي وضوح التركيب اللغوي . بمعنى بساطة التركيب وشفافيته وخلوه من التعقيدات والزخارف ،أي البعد عن التنطع في الكلام والتكلف في الفصاحة والتشدق في الحديث وغير ذلك مما يفقد لغة الخطاب الديني الوضوح المطلوب.. روى أبو داود والترمزي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها" .

وتوجد ضوابط عديدة يساعد الالتزام بها الدعاة على ضمان الوضوح للخطاب الديني منها :

- تجنب الكلمات المبهمة والغامضة ، وكذلك الكلمات والتراكيب التي تدل على معنيين .
- استخدام أدوات العطف وجمل الربط حتى لا تكون هناك فجوة في الأسلوب . ويجب ألا يلجأ الكاتب إلى إدخال فكرة جديدة بصورة يفجأ القارئ بها .
- الموازنة بين الفكرة وبين كسائها اللفظي، بحيث يكون الإطار اللفظي كافياً للتعبير عن الفكرة بوضوح بلا زيادة أو نقصان.
- استخدام أفعال قوية معبرة.
- استخدام الزمن المضارع للإشارة إلى فورية الحدث ، وإبراز عنصر الزمن في الرواية الإخبارية (اليوم ، أمس ، مساء أمس ، غداً) .

- تجنب التعميمات : فالتعميمات غالباً ما تحجب وضوح النص .
- الالتزام بالقواعد النحوية والصرفية باعتبارها وسيلة إلى صحة الكتابة ووضوحها .
- الالتزام بقواعد الإملاء الصحيحة .

أما وضوح المضمون.. فيقتضى من الداعية أن يكون واثقاً أولاً من المعنى المحدد ثم عليه بعد ذلك أن يعبر عن هذا المعنى وحده.. لا أكثر منه ولا أقل..أى أن يكون الداعية واضحاً فى التفكير والتعبير حتى لا يساء فهمه .

ونقطة البداية للوصول بالداعية إلى الخطاب المؤثر الواضح تتعلق بمدى فهمه لما يقوله أو يكتبه. فلا ينبغى أن يقدم على كتابة أى شئ إلا إذا كان مفهوماً بالنسبة له تماماً، لأن من لا يفهم الشيء لا يستطيع أن يعبر عنه التعبير الواضح الصحيح.

ولهذا ننصح الدعاة دائماً بالتفكير قبل الحديث أو الكتابة، وبالصدق فى التعبير عن الأفكار.

واجبك الأول هنا أن تكون صادقاً مع الفكرة ، وأن تخرجها بالدقة الواجبة كما هى فى نفسك ، سواء كانت الفكرة عسيرة أم يسيرة ، وسواء كانت بسيطة أم مركبة ، وفيما يتعلق بالمعانى الواضحة التى تتطلبها الحياة اليومية فليس هذا بالشيء المجهد ، أما إذا كان الأمر يتعلق بمعنى عسير أو فكرة عميقة تحتاج إلى تحليل، فعندئذ لا يكون الوضوح والبسلطة مترادفين ، أى أنهما ليس شيئاً واحداً ، فإذا أتى الداعية بلفظ بسيط لفكرة مركبة فإن هذا اللفظ قد يزيد الفكرة غموضاً وتعقيداً ، وبدل أن يساهم فى توضيح التعبير فإنه يزيده غموضاً ، ولذا فإن الداعية يطالب ببذل مزيد

من الجهد لاختيار اللفظ الذى يقتضيه المعنى بالضبط وذلك لضمان الوضوح ، وهذا هو ما يقصد بوضوح الفكرة ، أو ما يسميه البعض بالتعبير الواضح القسمات .

أسلوب الصدق :-

من الأساليب المؤثرة فى لغة الخطاب الدينى، حث عليه القرآن قال تعالى {لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا} سورة الأحزاب آية ٨ . وقال سبحانه وتعالى {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَه} سورة الزمر آية ٣٢ . وقوله تعالى {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ} سورة آل عمران آية ٢ .

ويتمثل الصدق ليس فى أقوال الداعية فقط.. وإنما فى أفعاله أيضاً ،لتتطابق الأقوال مع الأفعال ،وفى نيته ليتفق باطنه مع ظاهره . قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُون} سورة الصف آية٢، ٣.

وهناك دراسات عديدة تبين أثر صدق القائم بالاتصال . ومن الأبحاث التى أجريت حول هذه الصفة تبين أن مضمون الرسائل الموجهة من مصادر يقل تصديق الجمهور لها لا يعتد بها لأنها تعتبر فى نظره منحازة وغير موضوعية ، كما أثبتت الأبحاث أيضاً أن عدم تأثر آراء الجمهور فى حالة قلة تصديقه للمرسل أو رجل الإعلام يرجع إلى أن تصديق المستقبل يؤثر على دوافعه نحو قبول ما ينتهى إليه المرسل من استنتاجات[١٣] .

ولهذا عرف كافة أنبياء الله بالصدق فلم يبعث الله نبياً إلا وشهد لـــه قومه بالصدق قبل أن يبعث . مثلما حدث من مشركى مكة فقد شـــهدوا لمحمد صلى الله عليه وسلم بذلك . ونعتوه بالصادق الأمين .

وواجب الدعاة الالتزام بالصدق فى التعبير الدينى اقتداء برســـول الله صلى الله عليه وسلم . فيبتعدوا عن كل التحريفات المتعمدة . ويتســـموا بالنزاهة والتوازن والبعد عن كافة العوامل الذاتية والمصالح الشخصية الـــتى تبعدهم عن التعبير الموضوعى الصادق .

الاختيار الأمثل لاستراتيجية توجيه الخطاب الدينى :-

الاستراتيجية فى معناها العام هو التكنيك أو الأسلوب الواجب اتباعـــه فى مواجه موقف معين.. فهى منهاج للتفكير تعتمد على التقديـــر الســـليم للموقف المناسب واختيار الرسالة المناسبة والوسائل المناسبة لبلوغ الهـــدف المحدد .

وهناك استراتيجيات عديدة لتوجيه الخطاب الإسلامى ينبغى للداعيـــة أن يتعرف عليها ويحسن الاختيار من بينها لضمان الوصـــول إلى جمـــهوره والتأثير فيه التأثير المطلوب ومنها :

١- استراتيجية التوقيت :-

وتعتمد على اختيار الوقت المناسب لتوجيه الرسائل الإعلامية لضمـــان الحصول على أكبر قدر من التأثير . ولتلبية احتياجات الجمهور فى الوقـــت المناسب . واستراتيجية التوقيت تعنى دراسة الظـــروف المحيطـــة بـــالوقت والأطراف المختلفة المؤثرة عليه والمتأثرة به ثم اختيـــار الوقـــت المناســـب للنشاط الدعوى .

والأمثلة على استخدام استراتيجية التوقيت عديدة فالخطاب الديني المناسب لشهر رمضان لا يتناسب وبداية السنة الهجرية.. وكذلك أيضاً مناسبة الوقت لحال الجمهور فلا يعظ فى وقت يصعب فيه على السامعين كوعظ فى حر شديد أو برد شديد .

٢- استراتيجية التركيز :-

وتستخدم هذه الاستراتيجية فى أوقات الأزمات والحروب والمواقف الطارئة التى تقتضى تحركاً سريعاً لتوصيل الرسائل الإعلامية إلى كل أفراد الجمهور على اختلاف أماكنهم فى أسرع وقت ممكن.. ولذلك تستخدم كافة الوسائل الإعلامية المتاحة فى ضوء الميزانيات المحددة . والإفادة من الإمكانيات المختلفة لهذه الرسائل لإعداد الرسائل المناسبة بما يساعد على توصيل المعلومات المحددة للجماهير وتفهمهم لها.. وذلك مثلاً ما تفعله وزارة الأوقاف فى موسم الحج.. إذ تكثف الدروس والمحاضرات عن الحج وأدائه وشروطه والعمرة.. لتعريف جميع الذاهبين إلى الحج بالمعلومات الضرورية لضمان صحة الحج .

٣- استراتيجية الصبر والاحتمال :-

وتلجأ المؤسسات الدعوية إلى هذه الاستراتيجية عندما تتعرض لهجوم من قبل العلمانيين أو الملحدين.. وهنا ينبغى ألا نتسرع فى الرد أو مواجهة الهجوم.. ويفضل فى كثير من الأحيان أن يكون الرد إيجابياً يتمثل فى بعض الأفعال أو المعلومات التى تقدم للجمهور بأى وسيلة من وسائل الاتصال.. عن سماحة الإسلام أو عن حقوق المرأة فى الإسلام.. وحقوق الطفل.. ودعوة الإنسان للحفاظ على البيئة من التلوث .

٤- استراتيجية الارتباط "الاقتران" :-

والأمثلة عليها فى القرآن عديدة كالربط بين الاستغفار والغنى والسعة فى الرزق {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا} سورة نوح آية ١٠-١٢.

والربط بين الدعاء والاستجابة {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} سورة غافر آية ٦٠ . والربط بين الإيمان والسعادة والراحة النفسية {أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} سورة الرعد آية ٢٨، والربط بين المعصية والضيق والاكتئاب {وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} سورة التوبة آية٢٥.

وغير ذلك كثير من الاستراتيجيات التى ينبغى أن يلم بها الداعية وأن يختار منها الأسلوب الاتصالى الأمثل لتقديم رسائله فى إطارها لتحقيق النجاح والتأثير للدعوة .

أسلوب الاستعانة بمنطق الأحداث فى الدعوة:

إن الأحداث التى تقع تحت سمع الإنسان وبصره منطقها سليم ومقنع ، لأن الإنسان يرى أثر هذه الأحداث حقيقة واقعة لا يأتيها الشك من أى سبيل . وقد اعتمد الأسلوب القرآنى فى الدعوة على استخدام كثير من الأحداث التى وقعت نزوله وأثرت فى بناء الدعوة[١٤] .

وفى الآيات القرآنية التى نزلت بمكة ، نرى الأسلوب القرآنى للدعوة يتجه إلى دعوة المؤمنين إلى الصبر على المكاره وتحمل الأذى ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد للانتصار فى تلك المرحلة ، فى حين اتجه هذا الأسلوب فى المدينة إلى التوجيه إلى رد العدوان .

يقول تعالى لرسوله فى مكة: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} سورة المزمل آية ١٠ .

وبعد فتح مكة أصبح العدد والقوة للمسلمين على عدوهم ، ويتناجى المسلمون بعضهم إلى بعض فقالوا لا غالب لنا اليوم ، ولكن الله يعلمهم بمنطق الأحداث أموراً ما كان لهم أن يتعلموها فيقول تعالى فى سورة التوبة {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين . ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء وَاللَّهُ غَفُورٌ} الآية ٢٥-٢٧ .

هنا يعلمهم الأسلوب القرآنى حقيقة ما كان لغير الأحداث أن تعلمهم إياها : أن العامل الحاسم لإحراز النصر، ليس العدد و العدة ولا القوة مهما بلغت، ولكن إرادة الله هى التى تحدد مصير كل شئ.

ويطالعنا الأسلوب القرآنى بمثال آخر لاستخدام الأحداث فى بث المبادئ والقيم ، فيحدثنا عن واقعة الرماة الذين تركوا مواقعهم يوم أحد ليدركوا نصيبهم من الغنائم بعد أن رأوا انكسار المشركين، لقد نسوا ما أمرهم به رسول الله بالثبات فى مواقعهم مهما حدث من أمر . يقول تعالى فى سورة آل عمران :

{ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين} سورة آل عمران آية ١٥٢ .

هنا يعلمنا الأسلوب القرآنى أن الانصراف عن الهدف إلى أى غـــرض آخر نتيجته الخسران والهزيمة ويكون الدليل الذى لا يأتيه الشك مـــن أى سبيل ، وهو نفس ما أصابنا فى أنفسنا الآن وما نراه رأى العين .

أسلوب الإيجاز:-

يساعد الداعية على إبراز المعنى المقصـــود وتوضيحـــه.. فالعـــبرة فى توصيل المعانى تكمن فى اختيار أقصر الطرق المؤدية إليها.. وهـــو مرحلـــة وسط بين الاختصار المخل والتطويل الممل .

ويتحقق الإيجاز للخطاب الدينى بمجموعة من الاعتبارات هى :-

- حذف الجمل غير الضرورية ، والتى لا يؤثر حذفها علـــى ســـياق الكلام .
- تجنب تكرار الجمل غير الضرورية ، وكذلك الإطناب.. ويلاحـــظ أن التكرار سواء اللفظى أو بالمعنى قد يكون ضروريـــا للتـــأكيد.. ولكن عندما يقال نفس الشىء ثلاث أو أربع مرات بدون ســـبب ، ستكون الرسالة نفسها ضعيفة .
- احتواء الرسالة على الحقائق المتصلة بالموضوع فقـــط ، أى علـــى الأفكار التى تحقق الهدف.. ولاحظ أن طول النص مرتبط بما يكفـــى لتحقيق أهداف الداعية.. والزيادة تعتبر حشوا وتطويلا .
- تجنب التعبيرات المبتذلة أو غير المتصلة بالموضوع، أو المســـتخدمة لأغراض المبالغة فهذه تؤثر سلبيا على الجمهور.
- الاختيار الدقيق للكلمات الدالة على المعنى المقصـــود وبوضـــوح، ويتحقق ذلك بتجنب الكلمات الغامضة ، وغير الدقيقة ، والـــتى تحتمل أكثر من معنى .

وهناك اعتبارات أخرى تؤثر على مقدرة الداعية على الإيجاز ومنها:-

- عدم التركيز على هدف الرسالة .
- احتواء الخطاب الدينى على معلومات غير متصلة بالموضوع أو غير ضرورية.
- اللف حول الموضوع وليس الدخول مباشرة إليه .
- التطويل الزائد عن الحد .
- الميل إلى المبالغة الزائدة .

أسلوب الدقة :-

الدقة من الأمور الهامة فى صياغة الرسالة الدينية، والدقة تعنى الصواب، إن الأخطاء الصغيرة تطل برؤوسها عندما لا يحرر الخطاب الدينى بعناية. ومع أن الأخطاء لا ترقى بداهة فى خطورتها إلى مقام التحريف الشنيع للحقائق ، إلا أنها خليقة بأن يؤسف لها فى الكتابة الجيدة .

والدقة تعنى أيضا التحديد ، فاللغة أى لغة مهمتها الأساسية هى خدمة المعانى . ويجب أن تبقى كذلك بغض النظر عن الأسلوب المستخدم . فإذا تداخلت الكلمات المستخدمة لتنحرف بالحدث عن معناه الأصلى، فإن استعمالنا فى هذه الحالة يكون استعمالا غير دقيق .

فالتحديد شئ ضرورى ومهم من أجل تحقيق الدقة والوضوح للخطاب الدينى . والقاعدة الأساسية هى أن من لا يتأكد من معلوماته لا يستطيع أن يعبر عن الحقيقة بشكل مفهوم ودقيق . ولهذا ينبغى ألا تكتب إلا ما تستطيع إثبات صحته ، إما بتقديم دليل مكتوب أو بالاعتماد على أكثر من مصدر.

فاحترام وتقدير الناس يقتضيان أن تكون المعلومات التى يتعرض لهـــا صادقة وأن يكون مصدرها متأكدا من صحتها وصدقها . ومن مواصفـات الخبر وفقا للمفهوم الإسلامى أن يكون صادقا ، وقد تيقن روايه من صدقـه قال تعالى على لسان الهدهد {وجئتك من سبأ بنبأ يقين} سورة النمل آيـة ٢٢ . أى بخبر صدق حق يقين .

وقد اهتدى النبى صلى الله عليه وسلم بنبوته إلى ضرورة استقاء الخبر من أكثر من مصدر إمعانا فى التأكيد واليقين ، لأن الخبر الكاذب يـؤدى إلى تشكيل رأى عام غير سليم ويوقع الناس فى البلبلة ويقود إلى تصرفـات خاطئة مترتبة على مقدمات غير سليمة ،حدث أن بعث الرسول صلـى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق ليجمع منهم الصدقات فتلقـوه بالصدقة ولكنه رجع للنبى وقال أن بنى المصطلق قد جمعت لك لتقـاتلك وقد ارتدوا عن الإسلام فبعث النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليـد وأمره أن يتثبت ولا يتعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فأخـبروا خالدا أنهم متمسكون بالإسلام وسمع آذانهم وصلاتهم وقد رأى خالد منـهم الذى يعجبه فرجع إلى النبى فاخبره ،ويبدو أنه كان من بعـض المسـلمين اندفاع عند سماع الخبر الأول الذى نقله الوليد بن عقبة وأشاروا على النبى أن يعجل عقابهم وذلك حمية من هذا الفريق لدين الله وغضبا لمنع الزكـاة . فجاءت الآية الكريمة {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينـوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين} سـورة الحجـرات آية٦.

وإذا تأملنا هذه الواقعة وجدنا أن الخـبر الكـاذب أدى إلى تكويـن وبلورة رأى عام بين المسلمين على أساس غير سليم فقد عبروا عن ضـرورة عقاب هؤلاء الناس ولو حدث ذلك لأدى تصرفهم هذا تجاه بنى المصطلـق

على ضوء هذا الخبر المنقول عنهم إلى ظلم الناس بغير حق وإحراج المسلمين أنفسهم. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك ،وإلى أهمية تشكيل الرأى العام بناء على المعلومات والأخبار الواردة إليه ،ثم محاولة التصرف على ضوء ذلك بقوله تعالى : {واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم} سورة الحجرات آية ٧ . أى أدى ذلك إلى عنتكم وإحراجكم وإذا تأملنا فى هذه الواقعة أيضا وجدنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد تأكد من مدى صدق الخبر وصحته من أكثر من مصدر واحد، فقد أرسل خالدا ليتأكد من صدق الرواية التى نقلها الوليد وأمره بالتأكد والتحقق والتثبت. ولعل هذا الذى أكد النبى عليه من ضرورة التزام الدقة فى استقاء الأنباء وإيرادها ونشرها على الناس هو نفس ما أمرت به الدساتير الأخلاقية المنظمة لمهنة العلاقات العامة وأقرها الممارسون لها .ففى دستور جمعية العلاقات العامة الدولية المتفق عليه فى مايو ١٩٦١ نجد الإشارة إلى أنه ينبغى على العضو ألا يتعمد نشر المعلومات الخاطئة أو المضللة فلا ينشر بدون ترو أو تمهل معلومات خاطئة .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يراجع ناقلى الأخبار أكثر من مرة ليتأكد من صدق ما نقلوه إليه من معلومات ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك ما حدث فى غزوة بنى المصطلق عندما قال عبد الله بن أبى عن المهاجرين (لقد صرنا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك) وكان زيد بن أرقم حاضرا وهو غلام فحدث رسول الله بذلك. وهنا تتضح الحكمة العالية للنبى فى تلقى الأنباء وتصديقها فقد أخذ النبى يحاور فى أدب جم زيد بن أرقم ويدفع فى حواره الاتهام ما استطاع عن ابن أبى فيقول له لعلك غضبت عليه يا غلام، لعله أخطأ سمعك، لعله شبه عليك ولكن زيدا

كان يؤكد للنبى الخبر والسماع قائلا عقب كل سؤال للنبى صلى الله عليه وسلم قد سمعت منه يا رسول الله [١٥].

وقد وجه القرآن الكريم أولئك الذين يأخذون بظواهر الأمور قبل التحقق منها فينشروها إلى ضرورة أن ترد الأمور إلى القائد العام وأهل الحل والعقد وأصحاب الأفكار القويمة فإنهم أدرى وأعرف وأكثر يقظة ومعرفة ببواطن الأمور قال تعالى : {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم} سورة النساء آية ٨٣ .

أسلوب البرامج الحية والإيجابية :-

فى مجال تغيير الأفكار والمعتقدات نحتاج كدعاة إلى حقول إرشادية حية تتمثل فى مجموعة من الأفراد يعتنقون الدعوة ويؤمنون بها ويتمثلونها إلى درجة تمتلأ بها نفوسهم وعقولهم ونقدمهم إلى الجمهور كنماذج حية وتطبيقيا عمليا ،تدليلا علىٰ صحة ما نقول وعلى واقعية هذه المبادئ وقابليتها للتطبيق العملى فى واقع الحياة .

وذلك ما حدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أصبحت حياته كلها من أجل الدعوة قال تعالى {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين} سورة الأنعام آية ١٦٢ .

وعندما يصل الداعية نفسه إلى مثل هذه الدرجة من الإيمان والاقتناع فإنه يتكلم بلسان حاله التى هو عليها ويصبح مثلا أعلى يدعو إليه ، فلا يقول عكس ما يعمل تطبيقا لقوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون} سورة الصف آية ٢ .

وفكرة البرامج الحية تتفق مع طبيعة الإنسان التى تميل إلى الاقتداء بالآخرين ومحاكاتهم . كما أنها تنقل الفكرة الجديدة أو الدعوة من مواقع المثاليات المستحيلة إلى أرض الواقع ،وتعطى حافزا للآخرين وأملا فى الأخذ بها، كما يحدث تماما فى الحقول الإرشادية عندما نرعاها ونقيمها وسط المزارع ونجعلها فى متناول بصر المزارعين حتى نشحذ عزائمهم إلى الاقتداء وتقليد الأساليب الزراعية الحديثة المطبقة فى هذه الحقول الإرشادية.

والمتتبع لتاريخ الدعوات يجد أن بناء النفوس وإعداد الشخصيات القويمة يستغرق وقتا طويلا.. فقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة ثلاثة عشر عاما يعد الدعاة ويقوم النفوس فى صبر وتدرج.. وبقى نوح ألف سنة إلا خمسين عاما .

ومسئولية الدعاة تتحدد فى اختيار النماذج الحية الصالحة للتقديم للجمهور ويفضل التركيز على النماذج الحية، ومن ناحية أخرى يجب أن يتعهدوا أنفسهم بالرعاية وحسن الاقتداء حتى يصبحوا هم أنفسهم برامج حية دالة على صدق ما يقولون.

ومسئولية المؤسسات الإعلامية أن تكون هى فى ذاتها دالة على صدق ما تقول فلا تتناقض فى مضامينها بين الأمس واليوم.. ولا فى شعاراتها.. ولا فى محتوياتها ككل. فلا تقدم فى برامج ما يتعارض مع الأخرى.. وذلك حتى لا تفقد قدرتها على أن تكون عاملا فعالا فى بناء المجتمع وتنميته وتطويره.

ومن ناحية أخرى نشير إلى أن الدعوة ليست عملا ارتجاليا.. وليست مجرد مجموعة أساليب أو وسائل وليست عملا مؤقتا ولكنها فكر متكامل وبرنامج متكامل يتضمن التخطيط والأهداف والاستراتيجيات والأساليب والوسائل والمحتوى والجمهور والتوقيتات وأساليب التنفيذ وإجراءاته

ومتطلباته المادية والفنية والبشرية ويتضمن فى الوقت نفسه المتابعة والتقويم الفورى والآجل لكل أنشطة الدعوة سواء أكانت على مستوى الداعية الفرد أو على مستوى المؤسسات الدعوية أو من خلال التكامل بين هذه المؤسسات ومؤسسات المجتمع الأخرى.

فالدعوة لابد لها من برامج إيجابية تنطلق من خلالها حتى تحقق الأهداف المنشودة.. ولعل واقع الخطاب الدينى حاليا يوحى بافتقاد النظرة الشاملة للبرامج الدينية.. ولعل المناقشات والمؤتمرات التى تعقد بين الحين والآخر لمناقشة قضايا الدعوة توحى بافتقاد هذه الرؤية المنهجية الشاملة فى إعداد البرامج الإيجابية.. إذ نجد المناقشات تدور فى جزئيات وتهمل أخرى وكل يركز على جزئيته فقط باعتبارها الهم الرئيسى للدعوة الإسلامية.. كما لاحظنا اقتصار الدعوات على الدفاع النظرى فقط عن الإسلام.. وهناك عجز فكرى فى تقديم البرامج فليس هناك برامج لمعالجة تحديات العصر.. أو لمواجهة مشكلات العصر من خلال رؤية دينية أو لمواجهة الفراغ والجهل الدينى لدى قطاعات متعددة فى المجتمع الإسلامى الشباب الأطفال المرأة.. الأقليات المسلمة فى المجتمعات الأجنبية.

وافتقاد هذه البرامج من أهم عوامل تشتت الجهود وافتقاد لغة خطاب تتكامل مع مرور الزمن.. ومن أهم أسباب انتشار الإحساس بالقلق والخوف من المجهول.. والشعور بالضياع الروحى والتمزق الفكرى إزاء النهضة الحضارية المادية المذهلة فى الجوانب المادية والتكنولوجية.. على الرغم من تضمن شريعة الإسلام وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبرامج إيجابية نجحت فى بناء صرح الحضارة الإسلامية..فإذا أخذنا برنامج مدرسة دار الأرقم وتدارسنا برنامجها فى إعداد الجيل الأول للدعاة والذى استغرق سبع سنوات بإشراف النبى صلى الله عليه وسلم.. والذى اعتمد

منهج العبادة والتركيز أى تطهير النفس بالتربية والتعليم.. إذا أخذنا بهذا المنهج العام والواضح وطبقناه فى واقع حياة المجتمعات الإسلامية الآن لاستطعنا أن نقدم برنامجا فعليا لإعداد الدعاة الذين يقومون بمسئولية الدعوة فى ظل الواقع الراهن .

أسلوب السؤال فى مجال الاتصال الدعوى :-

وفى إطار الحديث عن أهمية السؤال للاتصال الدعوى تبرز لنا أمثلة كثيرة من الحديث النبوى الشريف تعكس مدى هذه الأهمية . وقد تعرضنا لمناقشتها فى كتابنا "التفسير الإعلامى لصحيح البخارى".. فقد استخدم السؤال استخدامات كثيرة تعكس الإدراك الواعى لقيمته ولوظائفه .

ومن ذلك استخدام السؤال لجذب الانتباه.. وللتدرج بالجمهور مما يعرفون إلى ما لا يعرفون. كما فى حديث عبد الرحمن بن أبى بكره عن أبيه "ذكر النبى صلى الله عليه وسلم قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه - قال : أى يوم هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه. قال: أليس يوم النحر ؟ قلنا بلى. قال: فأى شهر هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال: أليس بذى الحجة ؟ قلنا بلى، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا . فى عامكم هذا . ليبلغ الشاهد الغائب . فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه.

وهنا نلاحظ الانتقال بالجمهور من خلال السؤال من حرمة الأشياء التى سئلوا عنها ويعرفونها إلى بيان حرمة الدماء والأموال والأعراض.. ليكون ذلك أدعى لسهولة استيعاب الرسالة الإعلامية وتذكرها والعمل بمقتضاها .

ويلاحظ هنا المزاوجة بين أسلوب التساؤل وأسلوب الوقفة أو الصمت.. فعقب كل سؤال.. وقفة طويلة تسترعى انتباه المستمع وتدفعه للتفكير والتأمل واستشعار عظمة ما يخبرهم به الرسول عليه الصلاة والسلام . ولذا قال بعد هذا.. فإن دماءكم.. إلى آخره مبالغة فى تحريم الأشياء المذكورة .

وقد يكون السؤال للتعليم :- فعن محمد بن الحنفية عن على قال: كنت رجلا مذاءا فأمرت المقداد أن يسأل النبى صلى الله عليه وسلم، فسأله فقال: فيه الوضوء . والتساؤل هنا من قبل الجمهور لغرض التعليم. أى لمعرفة أشياء غير معروفة لهم من قبل.. ويلاحظ هنا موافقة الجواب للسؤال.. ليكون أدعى للفهم ولثبات المعلومة وحفظها وتذكرها ولذلك اتسم السؤال بالصياغة المركزة . والجواب بالوضوح والإبانة والاختصار .

وأحيانا نجد السؤال من قبل المتعلم ليتأكد من مطابقة الجواب لما لديه من معلومات وللتأكد من مدى صحتها.. ويتضح لنا ذلك من الحديث الذى رواه أنس رضى الله عنه.. قال : بينما نحن جلوس مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله ثم قال لهم : أيكم محمد.. والنبى صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ . فقال له الرجل : ابن عبد المطلب . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قد أجبتك : فقال الرجل للنبى صلى الله عليه وسلم إنى سأسألك فمشدد عليك فى المسألة فلا تجد على فى نفسك.. فقال: سل عما بدا لك فقال : أسألك بربك ورب من قبلك . الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله . الله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة؟ قال: اللهم نعم . قال: أنشدك بالله ، الله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال اللهم نعم. قال: أنشدك

بالله، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم نعم . فقال الرجل: آمنت بما جئت به. وأنا رسول من ورائي من قومي. وأنا ضمام بن ثعلبه أخو بني سعد بن بكر[١٦].

كما تضمن القرآن الكريم الكثير من الأسئلة والإجابات عنها : "يسألونك عن الأهلة" "يسألونك ماذا ينفقون" "يسألونك عن الروح" "يسألونك عن الساعة" "يسألك أهل الكتاب" .

ومن دراسة الآيات الكريمة التي تناولت الأسئلة تجدها انتحت بالسؤال منحى الهدف والغاية والحجة والبرهان والدليل.. ولهذا كان أسلوب الأسئلة في القرآن يهدف إلى التنبيه والتحذير والإعداد للإجابة وإلى التوبيخ والسخرية والاعتراف وإلزام الحجة ومراعاة المسئول، ويشير إلى الجزاء والحساب والطلب والبحث عن البراءة والتأكيد على الإيمان وعلى قدرة الله والتنبه إلى المحظور والإعلام والتهديد والوصول إلى اليقين والاطمئنان ،والإشارة إلى سؤال المختص والاستنكار والتحسر وإلى المعرفة والاعتراف والمحادثة والمسامرة وإلى تعجل الأمور والمكابرة ومراعاة الإجابة[١٧] .

ولهذا فعملية السؤال مسئولية الداعية لتوجيه الجمهور إلى إدراك فن السؤال وكيفيته وعما يسأل عنه.. ومن واقع برامج الفتاوى والبرامج الدينية والتي يترك فيها السؤال اعتباطا للجمهور نلاحظ أن نسبة كبيرة من التساؤلات تتضمن قضايا جزئية، وأن هناك تجاهلا للكليات الإسلامية وللقضايا الحيوية ،كما نلاحظ التكرار بين ما تقدمه هذه البرامج أو تعرضه صفحات الصحف من أسئلة وإجابات .

ولهذا كانت مهمة الدعاة فى إطار السعى لتطوير لغة الخطاب الدينى هى الاقتداء بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى تعليم الناس كيفية توظيف لغة السؤال لتوصيل قضايا الدين وكلياته وجزئياته ولتقديم الحلول للمشكلات المعاصرة ، وللتحديات التى تواجه المجتمع الإسلامى من خلال هذا الفن الذى يعد من المهارات الأساسية للدعاة كما أشرنا إلى ذلك فى كتابنا "مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة" .

أسلوب التدرج :-

والتدرج أسلوب منطقى فى لغة الخطاب الدينى.. وفى مجال الفكر ، ويعنى أن نبدأ بالعقيدة قبل العبادة.. وبالعبادة قبل منهاج الحياة.. وبالكليات قبل الجزئيات .

وهذا يقتضى وعى الداعية بكل معطيات الحياة من حوله حتى يكون أرحب أفقا وأكثر معرفة بكيفية الدخول إلى قلوب من يدعوهم إلى الإسلام أو من يجهلون الكثير من حقائق هذا الدين .

يقول الدكتور محمد عثمان نجاتى فى إطار توضيح هذا المنهج فى لغة الخطاب الإسلامى يقول "عندما ظهرت الدعوة الإسلامية كانت المدونات القبلية تقف أمام تقبل الناس لهذه الدعوة ، وكانت العادات المرذولة قد أصبحت سلوكا ثابتا يصعب التخلص منها . فلم يكن من السهل فى بداية الدعوة – أن يطلب من المسلمين التخلى عن بعض عاداتهم مرة واحدة بعد أن ألفوها مدة طويلة . كما أنه من غير الممكن بقاء هذه العادات والممارسات السيئة تسيطر على سلوك المسلمين بعد اعتناقهم الدين الإسلامى الذى يستنكر مثل هذه العادات[١٨] .

ولذلك اتبع الإسلام منهجا وسطا لعلاج هذه العادات عن طريق التدرج فى تعديل السلوك.. فقد تأجل تحريم بعض العادات السيئة حتى يستقر الإيمان فى قلوب المسلمين وحتى يمكن الاستعانة بقوة العلم فى تعلم عادات جديدة أكثر نفعا .

ولتوضيح ذلك نجد أن القرآن عندما واجه مشكلة الخمر ، تعمد إلى تنفير المسلمين منها وتبغيضهم فيها . وكانت أول آية فى ذلك تشير إلى أن نفع الخمر أقل من مضارها {يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من} سورة البقرة آية ٢١٥ . ثم ينتقل إلى درجة أكثر فى التشدد لحث المسلمين على الامتناع عنها {يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون} سورة النساء آية ٤٣ . وشملت الآيات الأمر بالامتناع عن شرب الخمر خمسة أوقات فى اليوم ليكون بمثابة التدريب والتهيؤ النفسى للمرحلة الجديدة التى تحرم الخمر كلية {يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون} سورة المائدة آية ٩٠ .

وهذا الأسلوب فى التدرج أضعف حب المسلمين للخمر وأحل محل الحب لها كرها ونفورا حتى تخلصوا منها نهائيا.. وهو نفس ما حدث مع العادات الأخرى مثل الربا والزنا والرق .. الخ. وبهذا الأسلوب فى التدرج قضى الإسلام على موروثات تحط من قدر الإنسان ومنزلته [١٩] .

وهذا الأسلوب الذى اتبعه الإسلام هو نفس ما انتهى إليه علماء النفس فى العصر الحديث بالنسبة لأسلوب التخلص من العادات السيئة فى سلوك الأفراد .وهو الأسلوب الذى يقوم على إحلال عادات جديدة مجيدة محل العادات السيئة مع التدرج فى الإقلاع عن العادات السيئة التى تمكن سلطانها من النفس[٢٠] .

الخطاب وفقا لطاقات الإنسان وقدراته:-

ووفقا لهذا الأسلوب يراعى الداعية طاقات الإنسان وقدرته على الاستيعاب أو الاستجابة.. خاصة وأن هذه الطاقات تختلف من شخص إلى آخر .وتتمثل الطاقة فى كل ما خص به الإنسان من إمكانيات لممارسة أنواع معينة من السلوك.. أى أنها الإطار الأساسى الذى يمارس الإنسان فى نطاقه الأنشطة والعمليات السلوكية المختلفة، أما المقدرة فتعنى الأفعال والتصرفات التى يستطيع الإنسان القيام بها[٢١] .

وقد ضرب القرآن الكريم المثل للدعاة فى مخاطبته للإنسان ،يقول المولى عز وجل {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت} سورة البقرة آية ٢٨٦ .

وهذا التكليف ليس فى كل الحالات، وإنما فى حالات القدرة فقط.. فالشخص المريض أو النائم والناسى ليس محلا للتكليف حتى يسترد طاقاته وقدرته.. ولذلك كان تحريم الخمر والمسكرات التى تجمد هذه الطاقات والقدرات الأساسية، ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم" أى أن أراعى قدراتهم العقلية على الفهم "الاستيعاب"[٢٢] .

ومن ناحية أخرى نلاحظ إلى جانب اهتمام الإسلام بالدعوة إلى مراعاة الطاقات الفعلية اهتمامه بأسلوب تفريغ الطاقات الزائدة بالدعوة إلى الأعمال الصالحة وفتح أبواب الخير الكثيرة حتى لا تتبدد هذه الطاقات فى أعمال العنف والانحرافات المتعددة.. فإماطة الأذى عن الطريق صدقة وزيارة المريض صدقة ومساعدة الضعيف صدقة.. وقال تعالى {إن الذين

آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير} سورة البروج آية ١١ .

وبهذا الخطاب الديني نساعد على إيجاد المواطن المتوازن ، فهو خطاب يتوجه إلى عقله وقلبه وروحه ،بمعنى أنه يوازن بين المتطلبات المنطقية والعاطفية والروحية لدى الإنسان وفى نفس الوقت يراعى الاختلاف الكبير بين الأفراد فى هذا القدرات ويعمل فى الوقت نفسه على تفريغ الطاقات الزائدة لدى البعض فى أعمال تعود بالنفع الصميم على جميع المسلمين وتساعد على تحقيق الاستقرار والرفاهية للمجتمع .

أسلوب القصص :-

من الأساليب المهمة التى استخدمها القرآن الكريم للعظة والعبرة.. فقد ذكر لنا الكثير عن الأمم الماضية وما حدث لهم ووصف حياتهم ومعاشهم وعقيدتهم وموقفهم من رسل الله إليهم .

وقدمها لنا القرآن كنماذج للدعاة يهتدون بها فى أساليب الخطاب كأسلوب من أساليب الدعوة الإسلامية، وتشتمل القصص على الملامح الضرورية لجعلها أسلوبا ناجحا من أساليب الدعوة.. كما يقول الدكتور أحمد غلوش[٢٣] وهى:-

أولا : تملأ الداعية انفعالا بدعوته وتجعله متحمسا لها مجاهدا ضد أعدائها واثقا من النصر والنجاح للدعوة فى نهاية الأمر .

ثانيا : تعرف بمبادئ الدعوة وتوضح دعائمها الأساسية مع ذكر أدلة الصدق لهذه المبادئ .

ثالثا : تبصر بالمدعوين وتبين حقائق طبائعهم وغرائزهم واتجاهاتهم مستدلة على ذلك بما سبق مما حدث للأمم السابقة .

رابعا : تعتبر موعظة حسنة لأنها بعناصرها وتأثيراتها تلفت نظرا المدعويـــن برفق وتعطيه من عبر الماضى ما يجعله يقتنع ويشعر أن الداعى ينصحه ويقصد نفعه .

خامسا : تناسب طاقة البشر لأنها رواية عن أخبار البشر وقد اختارهـــا الله بدقة وقص منها على الخصوص ما هو هادف ومؤثر وجعلـــه وحيـــا باقيا يلائم البشر دائما .

والقصة القرآنية تعتبر معجزة بيانية لأنها قرآن ،فـــهى تملـــك جمـــال الأسلوب وجمال المعانى ودقة وصدق الأحداث ،كل هذه العوامل مكنتـــها من أن تكون وسيلة من وسائل الدعوة .

يجب على الدعاة فى عصرنا الحاضر استغلال القصة القرآنية واستغلال ما فيها من عظات وعبر لأنها تعتبر درسا إلهيا متكاملا علـــى الداعيـــة أن يأخذه ويبينه للناس حتى يتعظوا ويعلمـــوا بـــأنهم إن خـــالفوا أو كذبـــوا سيصيبهم مثل ما أصاب الأمم السابقة أو الأشخاص السابقين المعـــاندين وإن أطاعوا سيتوب الله عليهم ويقبلهم مثل ما فعل ما فعل بالأقوام الذيـــن تابوا وآمنوا . ويحاول الداعية أن يبين هذين الصنفين من الناس الســـابقين للناس حتى يتعظوا ويقبلوا على الله وعلى دعوته[٢٤] .

. . . . . .

إن لغة الخطاب الإسلامى غنية بأساليبها المتعددة لتتناسب وحال المخاطبين وظروف الزمان والمكان.. وإن فرص الاختيار للداعية أوسع من أن تضيـــق وأكبر من أن تتخيل.. فهناك أساليب كثيرة بالإضافة إلى ما ذكرنا تفـــوق الحصر.. ومنـــها:-

- أسلوب المحاورة .
- أسلوب الجدل .

- أسلوب الجزاء .
- أسلوب الإنذار .
- أسلوب الإيحاء .
- أسلوب مخاطبة الروح الجماعية .
- أسلوب الشعور بالأمن .
- أسلوب ضرب الأمثال .
- أسلوب التكرار .
- أسلوب التحذير .
- أسلوب الموعظة .
- أسلوب الحث على العمل .
- أسلوب الأمل والرجاء .
- أسلوب النقد .
- أسلوب التهيئة النفسية .
- أسلوب القسم

ورغم هذا التنوع فى أساليب لغة الخطاب الإسلامى إلا أن جهل بعض الدعاة بهذه الأساليب وسوء استخدام البعض الآخر لأساليب غير مناسبة أو سيئة يؤثر سلبا على مسار الدعوة وموقف الناس منها.. وبحيث صرنا نجد نماذج لخطاب أقرب إلى السلبية والجزئية والارتجال والذاتية.. وبصورة أساءت إلى حد ما إلى الخطاب الإسلامى المعاصر وجعلته غير قادر على استيعاب أقرب الناس إليه وهم جمهور المسجد علاوة على اجتذاب الآخرين .

ولهذا يجب أن يزود الدعاة بدراسات نظرية وعملية عن أساليب الإقناع والتأثير وعن علم النفس وعلم النفس الاجتماعى.. كما يجب على

المؤسسات الدعوية وكليات الشريعة والدعوة توجيه البـــاحثين لدراســة أساليب القرآن الكريم فى الإقناع والتأثير ودراسة السنة النبوية من حيــث هذه الأساليب وإجراء دراسات تجريبية حول مناســبة هــذه الأســاليب وتأثيرها وفقا للفئات النوعية للجمهور وللبيئات المختلفة وللقضايا المختلفة وعقد الندوات والمؤتمرات المتخصصة للبحث فى أفضـــل أســاليب لغــة الخطاب .

وأهم من هذا كله ،الداعية المؤمن الواعى الذى يبحث ويدرس ويبتكر ويتفنن فى ايصال الدعوة للناس بأفضل الأساليب الممكنة والذى شـــعاره قول المولى عز وجل لرسوله الكريم {قل إن صلاتي ونســـكي ومحيــاي ومماتي لله رب العالمين} .

ثانيا :محتوى الرسالة الإسلامية :-

تكلمنا عن أساليب لغة الخطاب الدينى واستراتيجياته.. وهى الأساليب التى تكفل للمحتوى الدينى فى مختلف الأشكال التى نقدمه فيـــها تحقيــق التأثير والفاعلية، والتى تختلف طبقا لوسيلة الاتصال المستخدمة.

ولكن ماذا نقول أو بمعنى آخر ما محتوى الخطاب الدينى ؟ أو المعـــانى والقضايا والموضوعات التى سنتناولها .

والإجابة عن هذا السؤال تشمل كل ما تضمنه الدين الإسلامى من مقاصد وغايات وبحيث تتعدد مجالات الخطاب إلى مالا يمكن حصره . ومن هـــذه المجالات التى يمكن أن يتناولها الخطاب الدينى:-

١- التعريف بالقيم والمبادئ الأساسية التى يقوم عليها الإسلام من خــلال شروح آيات القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وتقديم النماذج الإسلامية فى الحياة الإنسانية ووجوه عطائه الحضارى وما يميزه بشــكل

واضح يعين على الفهم والرؤية والمساهمة الفعالة فى مسيرة الحضـــارة الإنسانية

٢- مناقشة واقع المجتمعات الإسلامية بصورة موضوعية وتحليل العوامـــل التى أدت بالمجتمعات الإسلامية إلى الضعف وتحديد منطلقاتـــه الـــتى تساعد على تطوير هذه المجتمعات .

٣- عرض وتحليل ومناقشة كافة التحديات التى تواجه الدعوة الإســـلامية والتى تناولتها بالتفصيل فى فصل سابق لشحذ هممم المســـلمين وتنميـــة إدراكهم بما يحيق بهم من مخاطر وتحديد سبل المواجهة لكل مـــن هـــذه التحديات بموضوعية وواقعية .

٤- توضيح نظرة الإسلام إلى الإنسان والحياة . وإلى نظام الحكم وتنظيـم الدولة والمنهج الإسلامى فى الاقتصاد والقضاء فى الإسلام والجهاد .

٥- تناول قضايا التضامن والتكامل من منظـــور إســـلامى.. وأســـلوب الإسلام فى بناء الأسرة والآداب المتصلة بها والجوانب النفسية الخاصـــة بالفرد وأسس إصلاحه نفسيا وروحيا .

٦- عرض أسباب صلاح المجتمعات وفسادها من المنظور الإسلامى .

٧- إبراز القيم الإسلامية فى الحرية والمساواة والأخلاق الإسلامية بصورة عامة .

٨- تحديد أصول العلاقات بين المسلمين وغيرهم من الشعوب .

٩- استعراض وتحليل القصص القرآنى واستخلاص العظة والعبرة منه .

١٠- مناقشة موقف الإسلام من قضايا المجتمع الإســـلامى الاقتصاديـــة والاجتماعية والسياسية والثقافية والحضارية ودوره فى التنمية الشـــاملة للمجتمعات الإسلامية .

١١- الاهتمام بقضايا الأقليات الإسلامية فى المجتمعات الأخرى بأبعادها المختلفة وتقديم الاجتهادات الفكرية المستنيرة لمواجهة هذه المشكلات بعيدا عن الخلافات المذهبية والطائفية والعرقية .

وفى كل هذه القضايا وغيرها لابد أن يكون هدفنا من كل ما نقدمه هو :-

١- المحافظة على العقيدة الإسلامية .

٢- المحافظة على الشريعة الإسلامية .

٣- إبراز مقاييس الحلال والحرام والخير والشر من المنظور الإسلامى .

٤- الالتزام بأخلاقيات العمل الدعوى فى ضوء معانى التقوى والمسئولية أمام الله وتنمية الشعور بالحرية وعدم العبودية لغير الله والطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم .

٥- التركيز على وحدة الفكر والمجتمع وتجنب إبراز القضايا الخلافية أو التى تثير الفتن .

٦- التركيز على الأولويات والقضايا الأكثر أهمية فالأقل أهمية وفقا للجمهور المخاطب . وأن ترتبط المعلومات المقدمة باحتياجات الجمهور.. وأن تتضمن أيضا الفوائد والمكاسب التى تعود عليهم .

٧- عدم مصادمة المضمون لقيم الجمهور واتجاهاته.. ولذلك عندما تتضمن الرسالة عادات وتقاليد متعارضة مع الإسلام فيجب أن تستخدم الحكمة وأن تتدرج وأن تبدأ من نقاط الالتقاء.. ومن زاوية المعلومات التى تعد جديدة بالنسبة للجمهور حتى لا تواجهه بمعارضة شديدة تؤثر على الإقناع .

٨- نراعى المستوى الثقافى للجمهور فالموضوع الواحد يختلف تناوله وأسلوبه وفقا لمستوى الجهور، المدينة غير القرية.. والصفوة غير العامة.

٩- الحرص على تنويع الوسائل المستخدمة.. فالرسائل التى يستقبلها الجمهور من خلال وسائل مختلفة أكثر قدرة على التأثير والإقناع.. لأنها تتيح فرصا أفضل لمخاطبة أكثر من حاسة ولعرض الموضوع بطريقة أكثر فاعلية .

١٠- اختيار الوقت المناسب لتوجيه الرسالة الإعلامية بحيث يكون هنلك استعداد كاف لدى الجمهور لاستقبال الرسالة الإعلامية.. ولذلك يجب استغلال المناسبات الدينية والأحداث الطبيعة والوقائع المختلفة كفرص لعرض موضوعات يكون الجمهور أصلا متهيئا لاستقبالها والاستجابة لها .

هوامش الفصل السادس

١ د. محمد منير حجاب : الموسوعة الإعلامية ، مرجع سابق، ج٣، ص١٢٩٢ .

٢ د. محمد منير حجاب : مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة – دار الفجر – القاهرة – ١٩٩٩ .

٣ د. محمد منير حجاب : الموسوعة الإعلامية ، مرجع سابق، ج٣، ص١٢٩٣

٤ عبد القادر حاتم : الإعلام فى القرآن الكريم ، مرجع سابق– ص٣٣٢–٣٣٣ .

٥ محمد عصمت : معنى الدعوة فى القرآن – مجلة النبأ – عدد ٢٤ – ربيع الأول السنة الخامسة ١٤٢٠هـ .

٦ د. محمد منير حجاب : الموسوعة الإعلامية، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٠.

٧ عبد القادر حاتم : مرجع سابق ص٢٢٥ .

٨ د. محمد منير حجاب : الموسوعة الإعلامية ، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٢ .

٩ د. محمد منير حجاب : مبادئ الإعلام الإسلامى، المطبعة العصرية، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص٤٩– ٥١.

١٠ د. محمد منير حجاب : مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة – مرجع سابق، ص٢٤٢–٢٥٦ .

١١ محمود حماد : الدعوة بين التكامل والتضاد – مطبعة دار السعادة – ١٩٩٤ – ص٣٤.

١٢ محمد منير حجاب: مهارات الاتصال للإعلاميين والتربوين والدعاة، مرجع سابق، ص ٢٦٦– ٢٧٥.

١٣ محمد محمد البادى : البنيان الاجتماعى للعلاقات العامة – القاهرة الانجلو المصرية – ١٩٧٨، ص١٨٧–١٨٨ .

١٤ محمد عبد القادر حاتم : الإعلام فى القرآن الكريم – مرجع سابق – ص٣٢٠ .

١٥ إبراهيم إسماعيل : الإعلام الإسلامى ووسائل الاتصال الحديثة – سلسلة دعوة الحق – رابطة العالم الإسلامى – مكة المكرمة – عدد ١٣٢ محرم ١٤١٤هـ – ص ٢٩–٣١ .

١٦ انظر: محمد منير حجاب: التفسير الاعلامى لصحيح البخارى، القاهرة، دار الفجر، ١٩٩٥م.

١٧ عبد القادر حاتم : مرجع سابق – ص٢٤١

١٨ محمد عثمان نجاتى : مبادئ التعلم من القرآن الكريم – مجلة عالم الفكر – المجلد الثانى عشر (الكويت – وزارة الإعلام يناير ١٩٨٢) ، ص٤٤٨ .
١٩ مرعى مدكور : الإعلام الإسلامى الطباعى فى الدول غير الإسلامية ١٩٨٥ مرجع سابق، ص١٨٤.
٢٠ عبد القادر حاتم: مرجع سابق – ص٢٦٧ .
٢١ على السلمى: السلوك التنظيمى – مكتبة غريب – القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٧٩ – ص٧٤،٧٥ .
٢٢ د. محمد منير حجاب : نظريات الإعلام الإسلامى – مرجع سابق – ص١٨٤ .
٢٣ أحمد غلوش: الدعوة الإسلامية وأصولها ورسائلها – دار الكتاب المصرى – القاهرة ١٩٧٩ – ص٢٩٣ .
٢٤ حسن عبد الرؤوف البدرى: سلوك الداعية وآثره فى تبليغ الدعوة الإسلامية – رسالة ماجستير غير منشوره – جامعة الأزهر – كلية أصول الدين ١٩٨١ – ص٣٣٨-٣٤٠.

obeikandl.com